المجـلة العلمـــية للتربيـــة النوعيـــة والعـلوم التطبيقـــية

The Scientific Journal of Specific Education and Applied Sciences

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني بسقارة بين السرد الواقعي والدلالات الرمزية

سارة حامد زيادة

أستاذ مساعد النقد والتذوق وتاريخ الفن بكلية التربية النوعية جامعة بورسعيد

سعيد محمد حمدي القطان

أستاذ مساعد الرسم والتصوير بكلية التربية النوعية – جامعة بورسعيد

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مقبرة كاجمني في سقارة تحليليًا وفنيًا من منظور العمق المكاني، في محاولة للكشف عن آليات التكوين البصري التي استخدمها الفنان المصري القديم في تنظيم المشاهد داخل الفضاء الجداري، في إطار يجمع بين السرّد الواقعي والدلالة الرمزية. وتُعد مقبرة كاجمني نموذجًا غنيًا لما تميّزت به مقابر النخبة في الدولة القديمة من تنوع بصري وتكامل رمزي. ويتجلى العمق المكاني في النقوش من خلال تراكب العناصر وتدرج الأحجام وتوزيع الحركات داخل فضاء يتميز بالانسيابية والتنظيم. وتهدف الدراسة إلى توضيح كيف تجاوز العمق المكاني وظيفته التشكيلية إلى دور سرّدي يحمل دلالات اجتماعية ودينية، تعكس مفاهيم كالنظام والخلود والتكرار الطقسي والتراتبية الطبقية. كما يُسلّط البحث الضوء على العلاقة بين رؤية الفنان للمرئي وإدراكه للامرئي، إذ تُمثل النقوش وسيلة لنقل المعتقدات الأيديولوجية في إطار بصري جذاب. وخلص البحث إلى أن مقبرة كاجمني ليست مجرّد تسجيل للحياة اليومية، بل تُمثل خطابًا بصريًا مركبًا يجمع بين الوثائقي والرمزي في بناءٍ فني يعكس فلسفة المصري القديم في إدراك العالم وتصور الخلود.

الكلمات المفتاحية: العمق المكاني، مقبرة كاجمني، السرد الواقعي.

المجـلة العلمـــية للتربيـــة النوعيـــة والعـلوم التطبيقـــية

The Scientific Journal of Specific Education and Applied Sciences

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

Spatial Depth in the Reliefs of the Kagemni Tomb at Saqqara Between Realistic Narrative and Symbolic Connotations

Abstract:

This research aims to study the tomb of Kagemni in Saqqara analytically and artistically from the perspective of spatial depth, attempting to uncover the visual compositional mechanisms employed by ancient Egyptian artists to organize scenes within the mural space, within a framework that combines realistic narrative and symbolic meaning. The tomb of Kagemni is a rich example of the visual diversity and symbolic integration characteristic of elite tombs in the Old Kingdom. Spatial depth is evident in the inscriptions through the superimposition of elements, the gradation of sizes, and the distribution of movements within a space characterized by fluidity and organization. The study aims to demonstrate how spatial depth transcended its formative function to a narrative role bearing social and religious connotations, reflecting concepts such as order, eternity, ritual repetition, and class hierarchy. The research also highlights the relationship between the artist's vision of the visible and his perception of the invisible, as inscriptions represent a means of conveying ideological beliefs within an attractive visual framework. The research concluded that the Kagemni tomb is not merely a record of daily life, but rather represents a complex visual discourse that combines documentary and symbolic elements in an artistic construction that reflects the ancient Egyptian philosophy of understanding the world and imagining eternity.

Key Words: Spatial Depth, Kagemni Tomb, Realistic Narrative.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

مقـدمـة البحث:

لقد مثّل المشهد الجداري في الفن المصري القديم وسيطًا بصريًا معقدًا يجمع بين الدقة التصويرية والوظيفة الرمزية. إذ لم تُصمّم هذه النقوش كتوثيق بصري للواقع، بل كوحدات دلالية تُعبّر عن منظومة فكرية مترابطة تحكم تصورات المصريين القدماء عن الحياة والموت والبعث. وتُعدّ المقابر النخبوية في منطقة سقارة مصدرًا بالغ الأهمية لفهم جوانب الحياة اليومية والمعتقدات الجنائزية في مصر القديمة إذ تُمثّل جدرانها المصورة سجلًا بصريًا حافلًا يوثّق البني الاجتماعية والطقوس الدينية. ومن بين هذه المقابر، تبرز "مقبرة كاجمني"، أحد كبار رجال الدولة في عهد الملك تيتي (Robins, 2008, p.84)، وهي تُعدّ مثالًا فريدًا يؤكد على ما بلغته النقوش الجدارية من دقة التصوير والثراء الرمزي (Kanawati, 2002, p.12). ويُعتبر فن النقش الجداري في مصر القديمة وسيلة تعبير بصرية متكاملة، إذ يجمع بين التسجيل التصويري للأحداث اليومية والدلالات الرمزية المرتبطة بالفكر الديني والاجتماعي. حيث لم تُنفَّذ المشاهد بغرض الزخرفة أو التوثيق التاريخي، بل للتعبير عن المعتقدات والأساطير المتعلقة بالعالم الآخر (Dodson & Ikram, 2008, p. 65). ويُعدُّ مفهوم العمق المكاني من أبرز الوسائل التي استخدمها إليها الفنان المصري القديم لتنظيم العناصر داخل التكوين الجداري، وتحقيق سرَد بصري متتابع يتماشى مع المفهوم العقائدي للموت والبعث (Brovarski, 2008, pp.56–59).

ولتحقيق العمق المكاني في النقوش المصرية القديمة، اعتمد الفنان على أساليب فنية خاصة، من أبرزها تقسيم المشهد إلى مستويات أفقية Registers، والتنويع في أحجام العناصر والشخوص وفقًا لمكانتها الاجتماعية والدينية، وتوزيع العناصر في طبقات متدرجة تمثّل انتقالًا بصريًا من العالم الدنيوي إلى العالم المقدس (Van Walsem, 2020, p.120). مكّنت هذه الطريقة من سرّد الأحداث بشكل متتابع ومنظَّم، حيث يتقدّم المتوفى في صدارة المشهد بحجم أكبر للدلالة على مكانته، بينما توزعت بقية العناصر خلفه أو أسفله وفقًا لوظيفتها أو رمزيتها. وتُعد مقبرة كاجمني في سقارة مثالاً بارزاً على هذا الاتجاه الفني. فهي تحتوي على نقوش نقوشًا ثرية تتنوع بين مشاهد الحياة اليومية، كالصيد والزراعة وتربية الماشية، ومشاهد الطقوس والشعائر الجنائزية (Harpur & Scremin, 2006, p.11). وتُعالج جميع هذه المشاهد بمنطق بصري يدمج بين العمق المكاني كأداةٍ سرّدية والدلالات الرمزية التي ترتبط بمعتقدات البعث والحياة الأبدية. حيث تظهر المعالجة البصرية للفضاء في نقوش مقبرة كاجمني تعددًا في الأساليب التي تتجاوز المنظور الطبيعي لتعكس تصورًا ذهنيًا منظمًا للواقع قائماً على مبادئ الترتيب الهرمي والتراكب البصري وتوزيع العناصر داخل

المجـلة العلمـــية للتربيـــة النوعيـــة والعـلوم التطبيقـــية
The Scientific Journal of Specific Education and Applied Sciences
Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

الفضاء التصويري، مما يخلق سردًا بصريًا لا يقرأ فقط من خلال الشكل، ولكن أيضاً من خلال البنية الرمزية التي تحكمه (David, 2003). ويُمثل هذا السرّد البصري آلية فعالة لإعادة صياغة العالم في صورته المثالية، ويخدم الوظيفة العقائدية للمقبرة بوصفها فضاء انتقالي بين الحياة الدنيا والعالم الآخر.

يُقدّم تحليل النقوش في هذه المقبرة مدخلًا لفهم كيفية توظيف الفنان المصري القديم للعمق المكاني كأداةٍ سرّدية لم تقتصر على الإيهام بالحركة أو المسافة، بل تجاوزت ذلك للتعبير عن بنية سرّدية ودلالية. تُظهر بعض المشاهد مثل مشهد الأبقار (شكل ١) براعة المصريين القدماء في استخدام العمق المكاني من خلال التقسيمات الأفقية، بالإضافة إلى استخدام تراكب العناصر داخل المشهد لتحديد التتابع المكاني والزمني لتحقيق سرّد واقعي. أيضًا، تتجلى الدلالة الرمزية في مشهد العجل وهو ينظر إلى أمه (شكل ١ – ب)، والذي يربط بين مشاهد الحياة الدنيا ومفاهيم الخلود والعالم الآخر، مما يخلق فضاءً لسرد واقعي متتابع، وتتحوّل تفاصيله اليومية إلى رموز كونية تُمثل البقاء والرعاية الإلهية والبعث. حيث يتحوّل العجل ولبن أمه إلى استعارة بصرية عن الأبدية. لا تجسد هذه المشاهد لحظات من الحياة اليومية فحسب، بل تحمل في ثناياها أيضًا مستويات متعددة من التفسير، بعضها واقعي وبعضها رمزي. من خلال تحليل هذه المشاهد، يتضح كيف استخدم الفنان المصري التقسيم المكاني للمشهد، وتراتب الشخصيات والأحجام، وتوزيع الرموز النباتية والحيوانية (كالزهور والطيور) لتحقيق سرّد واقعي يعكس الحياة اليومية بدقة (Harpur & Scremin, 2006)، وفي ذات الوقت يؤسس لمسّارٍ رمزي يتدرج من الأرضي إلى المقدس.

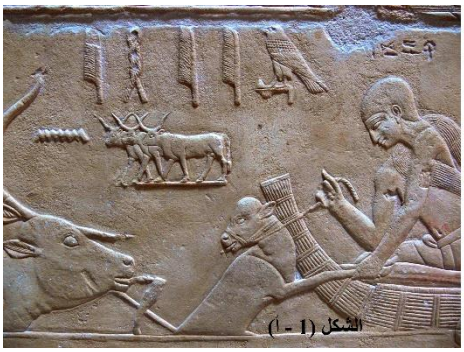

الشكلين (١)، و(١ – ب)، تفصيل من مشهد رعوي يصور راعيًا يقود الماشية، الغرفة (٣)، الجدار الغربي، مقبرة كاجمني.
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, P. 493).

وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تناول مفهوم العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني من خلال مستويين متكاملين: الأول، كوسيلة لسرد بصري واقعي للأحداث اليومية؛ والثاني، كعنصر دلالي رمزي

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يعكس الفكر الأيديولوجي المصري القديم. مع تحليل أساليب الفنان في تحقيق ذلك، مستكشفًا سماتها وأبعادها الفنية والفكرية، بوصفها ليست مجرد عنصر شكلي أو أسلوبي، بل بُعد بصري يُسهم في بناء المشهد، ويوجه إدراك المتلقي نحو إبراز رمزية السرد البصري. ويهدف هذا البحث إلى تحليل العمق المكاني في مجموعة مختارة من نقوش مقبرة كاجمني، وتوضيح دوره في عملية السرّد البصري وبناء الدلالات الرمزية، وذلك من خلال دراسة بنية المشهد، وتوزيع عناصره، وتفاعلها البصري، بما يكشف عن العلاقة بين الأسلوب الفني والوظيفة الرمزية في مضمون النقش الجنائزي.

مشكلة البحث:

رغم كثرة الدراسات التي تناولت فنون مقابر الدولة القديمة في مصر، وثراء نقوش الجدران من حيث مضمونها السردي وأبعادها الرمزية، إلا أن العديد منها ركز على محتوي هذه المشاهد من منظور وثائقي أو رمزي منفصل، دون التعمق في فهم العمق المكاني كعنصر بصري فاعل ووسيلة مزدوجة تجمع بين السرّد البصري الواقعي والدلالة الرمزية العقائدية الناتجة عن استخدام الحجم والتراكب في بناء العمق داخل المشهد. فالفنان المصري القديم أدرك مفهوم التنظيم الفراغي، وإن كان بطرق مختلفة عن المنظور الغربي، حيث اعتمد على مبادئ الترتيب الهرمي والتراكب البصري وتوزيع العناصر داخل الفضاء التصويري مما ساهم في بناء السرّد وتوليد المعني. وتُعد مقبرة كاجمني نموذجًا غنيًا تتداخل فيه العناصر التصويرية في بنية بصرية معقدة تُظهر إدراكًا متقدمًا للفراغ وعلاقته بالوظيفة الجنائزية والرمزية للنقوش. وهذا لا يزال يتطلب مزيدًا من التناول التحليلي. فمن خلال تعدد مشاهدها وثراء موضوعاتها، تتجلى المعالجات الفنية لمفهوم العمق المكاني، إذ لم تُستخدم فقط لإنشاء تسلسل بصري، بل أيضًا لتحقيق انتقال رمزي من الحياة الدنيوية إلى العالم الآخر. وعليه، كان سؤال البحث كما يلي:

- إلي أي مدي ساهم توظيف العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني في بناء سرّد بصري واقعي يحمل دلالات رمزية تعكس تصورات الفن المصري القديم للعالم الدنيوي والأخروي؟

فرض البحث:

- توظيف العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني بسقارة ساهم في تحقيق تسلسل بصري زمني يعزز من الطابع السردي الواقعي ويعبر عن دلالات رمزية، مما يخدم الوظيفة العقائدية للنقوش داخل السياق الجنائزي.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

أهداف البحث:

- دراسة وتحليل العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني بوصفه عنصرًا بصريًا دالًا، وليس مجرد تقنية تصويرية، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين تنظيم الفراغ وبنية المشاهد والدلالة الرمزية الكامنة في السرد التصويري.
- تفسير الدلالات الرمزية الناتجة عن توظيف العمق المكاني داخل المشهد الجداري وربطها بالتصورات الأيديولوجية والاجتماعية لدى المصريين القدماء.
- المساهمة في إثراء الدراسات الفنية والأثرية حول مفهوم العمق المكاني في الفن المصري القديم من خلال دراسة تطبيقية موثقه.

أهمية البحث:

- تنبع أهمية البحث من تركيزه على عنصر بصري غالبًا ما يُهمَل في الدراسات التقليدية للنقوش الجنائزية، ألا وهو العمق المكاني، كإحدى آليات فهم البنية السردية والدلالات الرمزية. في حين ركزت معظم الدراسات السابقة على دراسة النقوش من حيث عناصرها وأسلوبها.
- يسعي هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية معمقة تربط بين العمق المكاني والسرّد الزمني، مما يُسهم في إعادة تأويل النقوش الجنائزية من خلال السرد البصري والدلالات الرمزية.
- يساهم هذا البحث في إثراء الدراسات البينية بين علم الآثار وتاريخ الفن ودراسات الصورة البصرية في الفن المصري القديم.

حدود البحث:

- الحدود المكانية: يعتمد البحث على نقوش مقبرة كاجمني الواقعة في جبانة سقارة والتي ترجع إلى عهد الملك تيتي أول ملوك الأسرة السادسة حيث تعتبر نموذجا مميزا للفن الجنائزي في الدولة القديمة.
- الحدود الزمنية: تغطي الدراسة الفترة من بداية الأسرة السادسة في الدولة القديمة (حوالي ٢٣٢٣-٢٢٩١ ق.م)، وهو العصر الذي ازدهرت فيه المقابر النخبوية وبلغت فيه النقوش الجدارية إلى درجة عالية من التنظيم والدقة والرمزية.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

- الحدود الموضوعية: يقتصر البحث على تحليل العمق المكاني في النقوش الجدارية لمقبرة كاجمني من حيث علاقتها بالسرّد البصري والدلالة الرمزية، دون التوسع في الجوانب المعمارية أو العقائدية العامة إلا بالقدر الذي يخدم في فهم المشهد البصري المراد تحليله.

الدراسات المرتبطة:

- دراسة: (Robins, 2008)، بعنوان (فن مصر القديمة).

ناقشت (جاي روبنز) في هذا المرجع آليات تنظيم الصورة، بما في ذلك التراكب Overlapping والحجم النسبي والتقسيم الطبقي للعناصر. ورأت أن الفنان المصري كان يدرك مفهوم التنظيم الفراغي، وإن كان بطرق تختلف عن المنظور الغربي، إلا أنها لم تطبق هذا التحليل بشكل تطبيقي على مقبرة بعينها. وتسهم هذه الدراسة في توضيح الأسس التي استخدمها الفنانون المصريون لإضفاء عمق مكاني على المشهد التصويري رغم التزامهم بالمنظور المسطّح، وهو ما يُمكّن من فهم تقنيات بناء العمق المكاني في مشاهد مقبرة كاجمني وربطها بالسرد الواقعي.

- دراسة: (Wilkinson, 2016)، بعنوان (الجوانب الرمزية للمقابر الملكية).

يشير هذا المدخل إلى فصل في كتاب يستكشف المعاني الرمزية وراء تصميم وزخرفة المقابر الملكية. يتعمق الفصل في كيفية انعكاس موقع المقبرة واتجاهها وزخارفها ونصوصها، بل وحتى أسماء أجزاء مختلفة منها، على المعتقدات المتعلقة بالحياة الآخرة ورحلة المتوفى، وخاصةً إله الشمس رع، وتفاعلاته مع آلهة مثل أوزوريس. رغم تركيزه على وادي الملوك، إلا أن التحليل الرمزي ينطبق أيضًا على مقابر النبلاء مثل كاجمني، خاصة من حيث استخدام العمق المكاني كوسيلة لسرد رمزي يعكس ملامح العالم الآخر وضمان الخلود. يثري هذا المرجع فهم الباحثان للعلاقة بين السرد التصويري والتنظيم المكاني والدلالات الميتافيزيقية الكامنة خلفها.

الفجوة البحثية:

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أن هناك غيابًا ملحوظًا للدراسات التي تُدمج بشكل منهجي بين العمق المكاني والسرد البصري والدلالة الرمزية في نقوش مقبرة واحدة. وهنا تأتي أهمية هذا البحث في سدّ هذه الفجوة من خلال دراسة تطبيقية تحليلية لنقوش مقبرة كاجمني، باعتبارها نموذجًا بصريًا يُجسّد عناصر السرد والرمز والفراغ داخل محتوي متكامل.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يجمع بين الوصف المنهجي للنقوش الجدارية في مقبرة كاجمني – من حيث التكوين وتنظيم الفضاء والعلاقات البصرية – والتحليل التفسيري الذي يهدف إلى الكشف عن الدلالات الرمزية والسرّدية الكامنة وراء بناء العمق المكاني في هذه النقوش. ويتضمن الجانب الوصفي دراسة عناصر المشهد البصري، من حيث توزيع الشخصيات وتراكب العناصر وتفاوت الأحجام واتجاه الحركة داخل المسطح الجداري. أما الجانب التحليلي، فيعتمد على تأويل هذه العناصر ضمن السياق الجنائزي والاجتماعي والفكري لمصر القديمة، مع الاستعانة بالمصادر الأثرية والفنية المتخصصة، ودعمها بالنماذج المقارنة. كما يعتمد البحث على صور موثقة ومخططات تخطيطية معتمدة لنقوش المقبرة، بهدف تقديم تحليل بصري دقيق يربط بين البنية الشكلية للمشهد ووظيفته الرمزية داخل السياق التصويري.

أولاً: لمحة تاريخية عن كاجمني ومقبرته:

كان كاجمني من أبرز رجال الدولة في بداية الأسرة السادسة، في عهد الملك تيتي، أول ملوك الأسرة (حوالي ٢٣٤٥ ق.م). ورد اسمه في نصوص مقابر معاصرة أخرى، وشغل مناصب رفيعة، منها رئيس القضاة، ووزير العدل، ورئيس كهنة هليوبوليس، وحامل أختام ملك مصر العليا والسفلى، وهي ألقاب تشير إلى سلطته الإدارية والدينية العليا. كما أشرف على شؤون البلاط الملكي، كالمخازن والمنسوجات (Kanawati, 2002, p.27; Dodson & Ikram, 2008, p.65). تزوج كاجمني إحدى بنات الملك تيتي، مما يدل على نفوذه السياسي ومكانته في بلاط الدولة القديمة (Dodson & Hilton, ٢٠٠٤, p.61). ويقع مدخل مقبرة كاجمني شمال هرم الملك تيتي في منطقة سقارة. وهي من أهم مقابر النخبة في الدولة القديمة (Van Walsem, 2020, p120). يعود تاريخها إلى الأسرة السادسة، وهي مقبرة ضخمة لصاحبها "كاجمني"، الذي كان يشغل مناصب عليا في عهد الملك تيتي، وهو معاصر لكاجمني وكان يعمل في خدمته (Brovarski, 2008, p.56).

تُصنَّف مقبرة كاجمني على أنها من طراز المصاطب الأثرية الضخمة ذات التصميم المعقد. يبلغ طول واجهتها حوالي ٣٢ مترًا، ويؤدي مدخلها الشرقي إلى قاعة أعمدة واسعة، ثم إلى مجموعة من الغرف الجانبية المزخرفة بنقوش بارزة، أهمها غرفة القرابين Offering Room التي تحتوي على لوحة الباب الوهمي False Door، وهي تُعد مركز الطقوس الجنائزية (Abd El Salam, 2011, p.81). وتتميز

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

جدران المقبرة بسلسلة من النقوش التصويرية التي تُوثّق مشاهد من الحياة اليومية في مصر القديمة، مثل صيد الطيور، وصيد الأسماك بالرمح في الماء، وحفلات الرقص والغناء، وبناء السفن. وضمن هذه المشاهد صُوّر كاجيمني في أوضاع مختلفة، غالبًا ما كانت أكبر حجمًا من الشخصيات الأخرى، مما يعكس مكانته الاجتماعية الرفيعة (Robins, 2008, p.45).

لم تقتصر النقوش على السرّد الواقعي للممارسات اليومية، بل حملت دلالاتٍ رمزية واضحة؛ تعكس العلاقة بين المتوفى وعالم الآلهة، ومفاهيم الخلود والسلطة والتنظيم الطبقي. وقد استُخدم نظام الطبقات الأفقية Registers لتنظيم المشاهد وفقًا للترتيب المكاني والزماني، محققًا عمقًا مكانيًا رمزيًا دون الاعتماد على المنظور الهندسي المعروف في الفنون اللاحقة (Brovarski, 2008, p.56). ويؤكد الباحثون أن النقوش الموجودة في مقبرة كاجمني تمثل قمة النضج الفني في فن النقش البارز في الدولة القديمة، من حيث الدقة التشريحية والتوزيع المتقن للعناصر التصويرية واستخدام الفراغات السلبية لتحقيق توازن بصري وجمالي متكامل (Van Walsem, 2005, p.37).

ثانياً: وصف التخطيط المعماري لمقبرة كاجمني:

يتّسم تخطيط مقبرة كاجمني بطراز المصاطب الكبرى المركبة في سقارة، ويتخذ شكلًا شبه مربع، ويبلغ طول كل ضلع فيها حوالي ٣٢ متراً مربعاً تقريبًا. يبدأ التخطيط بمدخل رئيسي يقع في الجدار الشرقي، يؤدي مباشرة إلى صالة عرضية واسعة تُعد منطقة استقبال وعرض للمشاهد اليومية والطقوس الاجتماعية (Abd El Salam, 2011, p.81). من هذه الصالة، ينفتح ممرّ إلى صالة أعمدة مربعة الشكل تضم أربعة أعمدة حجرية تحمل السقف. تُعد هذه الصالة من أهم العناصر المعمارية، حيث زُينت جدرانها بنقوش تصوّر الصيد، الرقص، وصناعة السفن، مما يعكس حياة المتوفى وعلاقته بعالمه الاجتماعي والديني (Kanawati, 2000, p.74). تتوزع على جانبي هذه الصالة عدة غرف جانبية ذات مساحات متفاوتة؛ بعضها كان يستخدم كمخازن للأثاث الجنائزي والطعام، بينما خُصص بعضها الآخر لموظفي المقبرة والطقوس الدورية. وفي الطرف الغربي من المقبرة، تقع غرفة القرابين، وهي أهم غرفة طقسية داخل التخطيط. تحتوي هذه الغرفة على لوحة الباب الوهمي، وتُمثل بوابة رمزية بين عالم الأحياء وعالم الموتى، حيث كان المتوفى يتلقّى القرابين والصلوات من خلالها. زُينت جدران هذه الغرفة بنقوشٍ تُصوّر طقوس تقديم القرابين وكاجمني جالسًا أمام المائدة (Brovarski, 2008, p. 58). ويتفرع من هذه الغرفة بئر دفن، يؤدي إلى غرفة الدفن السفلية،

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

حيث وُضع تابوت المتوفى. وعلى الرغم من بساطتها مقارنةً بغرف الطقوس العلوية، إلا أنها تحمل أهمية عقائدية كبرى في المعتقدات الجنائزية المصرية (شكل ٢).

وفي النقاط التالية، يلخص الباحثون وصف مجموعة الغرف على النحو التالي:

- دهليز رئيسي يعرض مشاهد من الحياة اليومية: الصيد، والرعي، والزراعة، والرقص، والصناعة.
- قاعة ذات أعمدة تعرض مشاهد للحياة البرية، والطيور، والأسماك.
- ثماني غرف داخلية، تشمل غرفة التقديم، وغرفًا جانبية، ومخازن، وغرفة سرداب تحتوي على تمثال للمتوفى.
- بئر دفن ينزل إلى غرفة تحتوي على التابوت الحجري والأواني الكانوبية Canopic jars، ومن المرجح أن يكون قد نُقش عليها جزئيًا نصوص دينية (Kanawati, 2000, pp.41–43).

ومما سبق، يُلاحظ أن التخطيط المعماري يعكس الاهتمام بوظيفة المقبرة كمكان رمزي للخلود، بالإضافة إلى كونها مساحة لتخليد المكانة الاجتماعية لكاجمني في المجتمع المصري القديم.

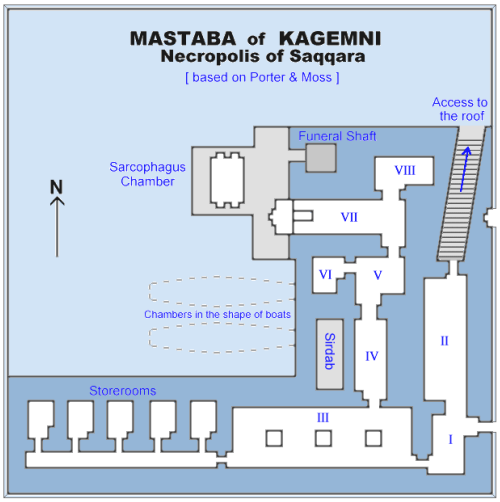

الشكل (٢)، التخطيط المعماري لمقبرة كاجمني. من المصدر: (Abd El Salam, 2011, p.87).

ثالثًا: النقوش والوظيفة الرمزية:

تتميز جدران مقبرة كاجمني بنقوش بارزة محفوظة جيدًا، كما تُظهر الزخارف على جانبي المدخل نقوشًا بارزة للمتوفى وهو يحمل صولجان "سِخم" Sekhem (الشكل ٣). وتُصوّر النقوش البارزة في الغرف

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

الداخلية مشاهد من الحياة اليومية، كطحن الحبوب، وحلب الماشية، والرعي، وصيد الطيور، وصناعة الخبز والجِعة، مما يعكس المفهوم المصري القديم لاستمرارية الحياة بعد الموت (Robins, 2008, p.98). ومن المشاهد الأخرى الجديرة بالملاحظة تلك المتعلقة بتقديم القرابين وتصوير الحيوانات، وخاصةً المشاهد التي تجمع بين الحيوان والإنسان في تناغم رمزي واضح. تشير هذه النقوش إلى الاعتقاد المصري القديم بأن تقديم القرابين وممارسة الطقوس اليومية يضمنان للمتوفى الخلود في العالم الآخر، كما أنها تُوثّق واقع الحياة المعيشية وتخصصات الطبقات العاملة المرتبطة بالبلاط (Dodson & Ikram, 2008).

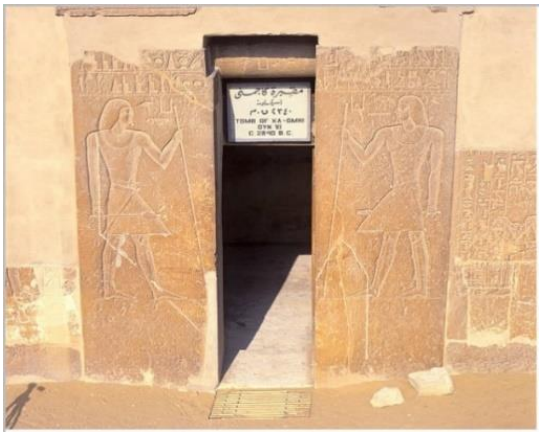

الشكل (٣)، يوضح الزخارف المتواجدة على جانبي المدخل. المصدر: (Kagemni. n. d.).

رابعًا: مفهوم العمق المكاني في الفن المصري القديم وتطبيقاته في مقبرة كاجمني:

١. الفرق بين العمق المكاني والعمق الفراغي:

يُعَدّ العمق المكاني والعمق الفراغي من المفاهيم الجوهرية في تحليل الأعمال الفنية البصرية، إلا أنهما يؤديان وظائف مختلفة من حيث التقنية والدلالة. يشير العمق المكاني Spatial Depth إلى الإيهام البصري الذي يحققه الفنان داخل مساحة تصويرية مسطحة لإعطاء إحساس بوجود مسافة بين العناصر، دون الحاجة إلى التمثيل الواقعي للفراغ أو تطبيق قواعد المنظور الرياضي. ويتحقق ذلك من خلال تتابع المستويات الأفقية Registers، واختلاف الأحجام النسبية للعناصر، وتراكب العناصر Overlapping، وترتيب العناصر داخل التكوين، مما يُوحي بالبعد (Robins, 2008, p.45). أما العمق الفراغي Spatial Perspective فهو مصطلح مرتبط بالفراغ الواقعي أو الإيهامي في الأعمال التصويرية ثلاثية الأبعاد، ويُنشأ باستخدام تقنيات مثل المنظور الهندسي Linear Perspective،

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

والمنظور الجوي Aerial perspective، وتدرج الأحجام وفقًا لخطوط التلاشي Vanishing Point. ويُستخدم هذا المصطلح بشكل شائع في الفنون الكلاسيكية، وفن عصر النهضة، والفن الحديث لتمثيل المساحات الطبيعية الحقيقية داخل العمل الفني (Elkins, 1996, p.114).

وجه المقارنة	العمق المكاني	العمق الفراغي
طبيعة المساحة	وهم مسافة داخل سطح تصويري مسطّح	تمثيل لفراغ حقيقي أو موهوم بأبعاد ثلاثية
الوسائل	تتابع المستويات، اختلاف الأحجام، تراكب العناصر.	منظور هندسي، منظور جوي، تدرج الأحجام وفق خطوط تلاشي
الأهداف	ترتيب العناصر حسب الأهمية الرمزية أو السرد.	تجسيد واقعي لمسافة وفضاء ثلاثي الأبعاد

جدول (١)، يوضح الفرق بين العمق المكاني والعمق الفراغي. (من إعداد الباحثان).

٢. العمق المكاني في الفن المصري القديم:

يمثّل العمق المكاني في الفن المصري القديم وسيلة تصويرية رمزية لإبراز العلاقة بين العناصر داخل المشهد، من خلال ترتيبها على مستويات أفقية متتابعة، تعرف باسم الطبقات التصويرية Registers (Robins, 2008, p.45). ولتجسيد ذلك، اعتمد الفنان المصري على أدوات بصرية مثل اختلاف الحجم النسبي للشخصيات، وتراكب العناصر Overlapping، وموقع العنصر داخل التكوين، لتحقيق إحساس بالمسافة، والتراتبية الاجتماعية، والرمزية في آنٍ واحد (Arnheim, 2004, p.232). ومع ذلك، كان العمق الفراغي غائبًا تمامًا نظرًا لطبيعة العقيدة، التي تهدف إلى تقديم تمثيلات رمزية خالدة، غير مقيدة بزمن أو مكان محسوس، بل تصور واقعًا مثاليًا وفق منظور عقائدي، وليس منظور بصري (Arnheim, 2004, p.234).

٣. العمق المكاني في مقبرة كاجمني:

في مقبرة كاجمني بسقارة، يتجلى هذا العمق المكاني بوضوح في النقوش التي تزيّن جدران الصالات والغرف، وخاصةً في صالة الأعمدة وغرفة القرابين. في مشاهد الصيد وصناعة السفن، وُضعت العناصر القريبة

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

للمشاهد – مثل القوارب أو الصيادين – في الطبقات السفلية، بينما وُضعت مشاهد الطيور، أو العناصر الطبيعية في الأعلى، مما يخلق وهمًا بوجود البعد المكاني على سطح الجدار المسطح (Kanawati, 2001, p.75). كما استخدم الفنان الحجم النسبي للشخصيات كوسيلة رمزية لخلق عمق مكاني ذي بعد اجتماعي؛ فتبدو شخصية كاجمني بحجم أكبر مقارنةً بباقي الشخصيات، على الرغم من أنها جميعًا على نفس المستوى الأفقي، مما يعكس مكانته الاجتماعية والدينية .(Brovarski, 2008, p.56) هذا التفاوت في الأحجام لا يعكس المسافة الفعلية؛ بل إنه يحقق عمقًا مكانيًا رمزيًا يسلط الضوء على التسلسل الهرمي الطبقي في المجتمع المصري القديم.

علاوة على ذلك، استُخدم تراكب العناصر داخل المشهد لتحديد التتابع المكاني والزمني؛ حيث تُرسَم العناصر الأمامية فوق الخلفية، ما يُنشئ طبقات بصرية متداخلة تُسهم في بناء المشهد بصورة سردية متتابعة. وهكذا، ينجح الفنان في تقديم مشهد متعدد المستويات والمضامين ضمن مساحة تصويرية محدودة (Van Walsem, 2005, p.34). يُذكر أيضًا أن العمق المكاني في مقبرة كاجمني لم يكن يهدف إلى تجسيد الفراغ الطبيعي، بل إلى بناء سرد بصري محكوم بالدلالة الرمزية، ويربط بين مشاهد الحياة الدنيا ومفاهيم الخلود والعالم الآخر، وهو ما يظهر في مواضع معينة كمشهد طقس تقديم القرابين، حيث تُرتب العناصر على درجات عميقة تعكس مكانة المتوفى وصلته بالعالم العلوي.

خامساً: أنماط السرد البصري في نقوش مقبرة كاجمني:

تنوَّعت أنماط السرّد البصري في الفن المصري القديم تبعًا لطبيعة المشهد ووظيفته الرمزية. وقد صنّفها الباحثون إلى ثلاثة أنماط رئيسية (Robins, 2008, p. 51). وهذه الأنماط لم تكن تُوظَّف لتحقيق تتابع زمني حقيقي، بل لتنظيم سرد "رمزي–عقائدي" يُبرز مكانة المتوفى وعلاقته بالعالم الآخر، ويخدم وظيفة المقبرة الطقسية.

١. السرد المتتابع Sequential Narrative:

السرد المتتابع هو نوع من السرد البصري يتم فيه تمثيل كل لحظة زمنية في مشهد منفصل أو إطار خاص بها، بحيث تنتقل الشخصيات والأحداث من خطوة إلى أخرى بشكل متسلسل، مما يُساعد المشاهد على تتبّع تطوّر الحدث زمنياً من بداية إلى نهاية (Dehejia, 1990, p. 375)، حيث يُستخدم تقسيم بصري واضح (مثل الفواصل أو المشاهد المتعاقبة) ليُعبّر عن مرور الزمن من خلال تكرار الشخصية في أوضاع

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

متعاقبة. يظهر ذلك جليًا في مقبرة كاجمني؛ مشاهد الحرف اليدوية (النجارة – صهر المعادن): تُعرض العملية الإنتاجية من خلال تسلسل واضح: مجموعة من العمال تقطع الخشب، مجموعة أخرى تنحته، وثالثة تُركّب المنتجات. تُقسّم هذه العمليات بصريًا إلى مشاهد متعاقبة، نرى في هذه النقوش تجزئة المشهد إلى درجات (مستويات) أفقية أو رأسية داخل الجدارية، مما يُبرز مرور الزمن خطوة بخطوة عبر مشاهد متقاطعة ضمن الجدارية نفسها.

٢. السرد المتزامن Simultaneous Narrative:

السرد المتزامن هو نوع من السرد البصري تُعرض فيه عدة لحظات زمنية داخل مشهد واحد، حيث تظهر شخصية تؤدي أفعال متعددة في نفس الإطار، مما يسمح للمشاهد بتتبّع الزمن بصريًا دون تقسيم المشهد إلى لقطات منفصلة (Petersen, 2010). في مقبرة كاجمني، يتجلى هذا في مشهد صيد الأسماك في المستنقع: تظهر نفس الشخصية (كاجمني أو أحد الصيادين) في مشاهد متعددة (مكرّرة عدّة) داخل نفس اللوحة، وتؤدي عدة أفعال متتالية: مرة يمسك بالشبكة، ومرة يفرغ الأسماك، ومرة أخرى يُمسك رمحًا ويصطاد. تحدث جميع هذه الأفعال بصريًا داخل مشهد واحد دون تقسيم (داخل إطار واحد موحّد)، مما يعكس لحظات زمنية متزامنة في التكوين نفسه.

٣. السرد الأحادي المشهد Monoscenic Narrative:

هو نوع من السرد البصري يركّز على لحظة واحدة فقط من الحدث، حيث تُصوَّر الشخصية أو الشخصيات في موضع واحد داخل مشهد ثابت، دون تكرار أو انتقالات زمنية. لا يتضمّن هذا النوع أي إشارة مباشرة إلى تطوّر الحدث عبر الزمن، بل يُجسّد لحظة درامية محددة (Dehejia, 1990, p. 376). يتضح هذا في مقبرة كاجمني – مشهد استقبال القرابين (كاجمني جالسًا أمام المائدة): حيث تظهر الشخصية في وضع ثابت ومركزي، فنرى كاجمني جالسًا في وضع مهيب أمام مائدة القرابين، محاطًا بالكتبة وقارئي القرابين، والرموز الهيروغليفية التي تُعدّد الأطعمة. لا يوجد تكرار للشخصية (دون تكرار أو إشارات زمنية)، ولا يوجد أي انتقال عبر الزمن؛ بل يتم تجسيد لحظة طقسية واحدة ثابتة (ممثلة للحظة واحدة).

تُظهر الأمثلة السابقة مدى ثراء نظام السرد البصري المصري القديم، وقدرته على دمج الزمن والحركة داخل التكوين الفني باستخدام رموز ومشاهد متكررة أو ثابتة. ويوضح الجدول التالي (الجدول ٢) المقارنة بين أساليب السرد الثلاثة:

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

النوع السردي	التعريف المبسّط	تمثيل الزمن	تكرار الشخصية	الشكل البصري للمشهد
السرد المتزامن	عرض عدّة لحظات زمنية داخل مشهد واحد، حيث تقوم الشخصية بأفعال متعددة دون تقسيم.	لحظات متعددة تظهر في وقت واحد	نعم	مشهد واحد يحتوي على الشخصيات في أوضاع مختلفة
السرد المتتابع	تسلسل الأحداث عبر مشاهد أو إطارات منفصلة، تمثل كل منها لحظة زمنية مختلفة.	متتابع – خطوة بخطوة	نعم	مشاهد أو لقطات متعاقبة
السرد الأحادي المشهد	تجسيد لحظة واحدة فقط من الحدث، دون انتقالات زمنية أو تكرار للشخصية.	لحظة واحدة ثابتة	لا	مشهد واحد يُظهر لحظة درامية

جدول (٢)، يوضح مقارنة بين أنماط السرد الثلاثة، (من عمل الباحثان).

خامسًا: دور العمق المكاني في دعم السرد البصري بمقبرة كاجمني:

يمثّل العمق المكاني في الفن المصري القديم أداة بصرية فعّالة لتنظيم المشاهد المصورة داخل النقوش، ليس فقط لتحقيق الإيهام البصري بالمسافة، بل أيضًا لترتيب العناصر وفقًا لتسلسل سردي ورمزي يخدم الوظيفة الجنائزية والعقائدية للمقبرة. ويتجلّى هذا الاستخدام بوضوح في مقبرة كاجمني بسقارة، حيث تنوّعت أنماط السرد البصري، وتكامل معها استخدام العمق المكاني لتأكيد معاني المشهد وسرديته.

١. العمق المكاني في السرد المتتابع:

في مشاهد الصيد المنتشرة على جدران صالة الأعمدة، استخدم الفنان المصري نظامًا من الطبقات الأفقية لترتيب الأحداث في تتابع بصري واضح: تبدأ الطبقة السفلى بتجهيز الشباك، تليها عملية الصيد في المنتصف، ثم جمع تجميغ الغلة (الصيد) في الأعلى. وقد استُخدم اختلاف حجم الشخصيات لتمييز كاجمني عن بقية الشخصيات، بينما يُشير تراكب العناصر إلى ترتيب عناصر المشهد وفقًا للأولوية البصرية

(Robins, 2008, p. 52). يُحقق هذا التنظيم عمقًا مكانيًا رمزيًا يترجم التسلسل السردي للأحداث في إطار تصويري مستوٍ.

٢. العمق المكاني في السرد المتزامن:

في مشاهد الحفل الجنائزي، يقدم الفنان عدة مشاهد متزامنة داخل تركيبة بصرية واحدة، حيث يظهر العازفون والراقصون ومقدمو القرابين معًا، رُتبت العناصر وفقًا لمواقعها المختلفة داخل الإطار وأحجامها المتفاوتة. تُوضع الشخصيات الثانوية في المقدمة، والأنشطة الثانوية في الخلفية، بينما يتصدر كاجمني المشهد بحجم ضخم في مستوى أعلى (Kanawati, 2001, p.75). يُسهم هذا العمق المكاني في تنظيم العلاقات البصرية بين الشخصيات والمجموعات داخل مشهد واحد، دون تقسيم زمني.

٣. العمق المكاني في السرد الأحادي المشهد:

في غرفة القرابين، يستخدم الفنان عمقًا مكانيًا محدودًا، قائمًا على ترتيب العناصر في صفوف أفقية أمام المتوفى. حيث توضع المائدة في المقدمة، تليها القرابين مرتبة بتدرج حجمي، مع تراكب بسيط لعناصر المائدة (Van Walsem, 2005, p.41). يُجسد هذا التكوين فكرة السكون والخلود في الطقوس، مُبرزًا حضور المتوفى في لحظة أبدية من العطاء الطقسي.

سادسًا: الوظيفة الرمزية للعمق المكاني:

يتجاوز دور العمق المكاني وظيفته البصرية ليتحوّل إلى أداة ترميزية؛ فاختلاف الأحجام والمواقع يُترجم مكانة الشخصيات وقيمتها الدينية والاجتماعية، بينما تُرتب المشاهد وفقًا لرمزيتها الدنيوية أو الأخروية. يُحقق هذا البناء الرمزي سردًا بصريا مركبًا يعكس العقيدة المصرية في الخلود (Robins, 2008, p.48).

سابعًا: الإطار التطبيقي للبحث:

بناءً على عنوان البحث وأهدافه، ركز البحث على دراسة ثلاثة مشاهد محددة من نقوش مقبرة "كاجمني" في سقارة. وقد أُجري ذلك لدراسة كيفية تمثيل مفهوم العمق المكاني في هذه المشاهد، وما تكشفه من أبعادٍ سرّدية ودلالاتٍ رمزيةٍ تتجاوز وظيفتها التصويرية الظاهرية. وقد اختيرت هذه المشاهد بعناية بناءً على ثلاثة معايير رئيسية، وهم:

١. الثراء البصري والتشكيلي للمشهد، بما يتيح إمكانية رصد تدرجات العمق.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

٢. وجود بنية سردية واضحة.
٣. إمكانية التأويل الرمزي لمفاهيم البقاء والانتقال في الفكر الجنائزي المصري القديم.

وبناءً على معطيات الإطار النظري، اتجه الباحثان إلى تحليل المشاهد الثلاثة المحددة بتطبيق آلياتٍ خاصة للإجابة على تساؤل المشكلة وتحقيق هدف البحث، وذلك باتباع المحاور التالية:

- **المحور الأول: وصف المشهد:** وصف العناصر البصرية (شخصيات، حيوانات، أدوات، خلفية). وعدد الشخصيات ووضعياتهم. والاتجاه البصري للمشهد (من اليمين لليسار/العكس).
- **المحور الثاني: التحليل السردي للمشهد:** نوع السرد (لحظة واحدة/تسلسل سردي/سرد دوري). والعلاقة بين العناصر ("تعاون/صراع/طقس". وهل يوجد تكرار للشخصيات للدلالة على الحركة أو الوقت؟ وهل يحمل المشهد وظيفة روحية أم دنيوية؟).
- **المحور الثالث: العمق المكاني ومعالجته البصرية:** طرق تمثيل العمق المكاني. والحجم النسبي للشخصيات. والتراكب Overlapping. وترتيب العناصر في مستويات أمامية وخلفية. وحدود الأفق والتنظيم المكاني. ومدى الإيهام بالفراغ (هل المشهد مسطح أم يعطي إحساسًا بالفضاء؟).
- **المحور الرابع: أثر العمق المكاني على السرد البصري:** هل يُفكك العمق المشهد إلى طبقات سردية؟ أليس العمق مجرد بنية تشكيلية، بل أداة لاستحضار معنى غائب؟
- **المحور الخامس: أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:** ما الذي يرمز إليه المشهد؟ هل يحمل المشهد دلالات عن الحياة اليومية؟ أم يستحضر معتقدات جنائزية؟ ارتباط المشهد بهوية المتوفى أو طبقته الاجتماعية. القيمة الرمزية للكائنات الممثّلة.

- **العمل الأول: (نقش الصيد وتغذية الطيور والضباع):**

– **تحليل المستوى السردي الأول (مشهد اصطياد الطيور بالشبكة):**

وصف المشهد:

في المستوى السردي الأول (الشكل ٤ – أ، ب) مشهدان متشابهان يُصوّران اصطياد الطيور باستخدام شبكة سداسية. كلتا الشبكتين ممتدتان قرب بركة. في كل مشهد، بجانب البركة، تقف شجرة نخيل وحيدة. في المشهد على اليمين (الشكل ٤ – أ) يوجد عدد كافٍ من الطيور تحت الشبكة، مما دفع رجلًا

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

على اليسار إلى الإشارة لأصدقائه الثلاثة المتواجدين معه في مقدمة المشهد، لسحب الحبل بعنف، مما يُغلق الشبكة ويُوقع الطيور في الفخ. ينجو من الشباك عدد قليل، في حالة من الذهول، ويهربون من الفخ. على اليسار، يُظهر المشهد الثاني شبكةً ممتلئة. في الشكل (٤ – ب) على اليمين، يقف رجلًا منتصباً، ممسكًا بقطعة قماش بين ذراعيه الممدودتين، ربما يُشير إلى أصدقائه المختبئين لسحب الحبل. وقد تنوعت وضعيات الجسد أيضاً: رجل يُشير، وآخرون يسحبون الحبال، ورجل يرفع القماش. وبعض الشخصيات واقفة، وبعضها منحني أو يسحب بقوة. الاتجاه البصري للمشهد من اليمين إلى اليسار في تسلسل سردي واضح.

الشكل (٤ – أ)، مشهد الصيد وتربية الطيور، الغرفة الرابعة، الجدار الغربي، مقبرة كاجمني.
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, P. 205, Fig. 10, 11).

الشكل (٤ – ب)، مشهد صيد وتربية الطيور، الغرفة الرابعة، الجدار الغربي، مقبرة كاجمني.
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, P. 206, Fig. 12, 13).

التحليل السردي للمشهد:

أسلوب السرد في هذا المشهد متسلسل/متزامن. حيث يظهر المشهد ذاته في نسختين تقريبًا (أ/ب)، مما يوحي بتكرار سردي للحدث بنتائج مختلفة. ونشأت العلاقات بين العناصر من خلال: مشهد طقسي دنيوي يعكس التعاون بين الصيادين؛ والتفاعل الديناميكي بين الإنسان والطبيعة (الطيور). كما تُمثل

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

ديناميكية السرد في المشهد أ (يمين): لحظة ذروة الحدث، حيث تُسحب الحبال وتُغلق الشبكة. وفي المشهد ب (يسار): ما بعد الفعل (العواقب) – الطيور تُحاصر. يؤكد استخدام التكرار في المشهد على أهمية الدلالة الزمنية، إذ يُظهر تطور الحدث (من بداية الصيد إلى القبض عليه).

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

يستخدم المشهد عددًا من تقنيات العمق، منها: التراكب Overlapping: حيث تتداخل الطيور والنباتات؛ وترتيب العناصر: من الأمام إلى الخلف (الطيور ← البركة ← شجرة النخيل)؛ والحجم النسبي: فالشخصيات أكبر من الطيور والنباتات، وخط الأفق مرتفع نسبيًا، مما يوحي بفضاء ممتد. كما يُوحي المشهد بالفراغ، ولكنه رمزي وليس منظورًا طبيعيًا، إذ يُستخدم التكرار والخطوط الأفقية لتقسيم المستويات.

أثر العمق المكاني على السرد البصري:

يُفكّك المشهد إلى طبقتين أو أكثر: طبقة أمامية: شخصيات الصيادين؛ طبقة وسطى: الشبكة والطيور؛ طبقة خلفية: البركة وشجرة النخيل. كما يُسهم استخدام العمق في تتبع الحدث بصريًا، مما يجعل المشهد قابلًا للقراءة تدريجيًا من الأمام إلى الخلف.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

ترتبط الأهمية الرمزية للصيد بفكرة السيطرة على الفوضى (الطيور = فوضى، الشبكة = نظام). وقد تكون له أيضًا دلالة جنائزية: توفير الطعام الأبدي للمتوفى في الحياة الأخرى. كما تُصوَّر مشاهد الصيد عادةً في مقابر كبار المسؤولين كرمز للسلطة والهيمنة. وتشير **الدلالة** الرمزية للنخلة والبركة والطيور إلى وفرة البيئة وخصوبة الحياة، وبالتالي إلى مكانة المتوفى.

بناءً على ما سبق، يستنتج **الباحثان** أن مشهد صيد الطيور في مقبرة كاجمني يستخدم تقنيات سردية متكررة وتركيبًا بصريًا رمزيًا لتقديم لحظة حيوية من السيطرة على الطبيعة. فهو يُبرز العمق المكاني بطريقة خفية لكنه فعّال، ليعكس تطور الفعل من التخطيط إلى التنفيذ. ترتبط هذه المشاهد بدلالات حياة رغيدة بعد الموت، وتُظهر البنية السردية للفن المصري القديم كوظيفة طقسية ورمزية في آنٍ واحد.

– تحليل المستوى السردي الثاني (مشهد تربية الطيور وتغذيتها):

وصف المشهد:

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يُصوَّر المستوى السردي الثاني (الشكل ٥)، مشهدٌ مُخصَّصٌ لمراحل تربية الطيور. ويتضمن ثلاثة أقفاص للطيور مُصوَّرة جنبًا إلى جنب، محاطة بشباك، وأسقفها مُدعَّمة بعصي ذات أطراف مُتشعبة. أمام المجموعة الأولى من الدواجن، يقف المزارع حاملًا كيس الحبوب على كتفه الأيمن، تاركًا الحبوب تسقط على الأرض. يُعدُّ هذا تمثيلًا تقليديًا نموذجيًا في الفن المصري القديم، لأن الشخصية لم تكن لتُؤدي هذا العمل خارج القفص، بل كانت ستدخل إلى الباب الصغير المصوَّر في الأسفل. ومع ذلك، ولأن الفنان كان سيجد صعوبةً في تصويره داخل القفص، فقد صُوِّر وهو يُنجز مهمته "خارج القفص". تتنوع وضعيات المشهد: وضعية المزارع غير منطقية بطبيعتها (خارج القفص)؛ أما الطيور داخل الأقفاص، فتتخذ أوضاعًا مُختلفة (واقفة، تأكل، تتحرك). **الاتجاه البصري** للمشهد من اليمين إلى اليسار في ترتيب خطي للأقفاص.

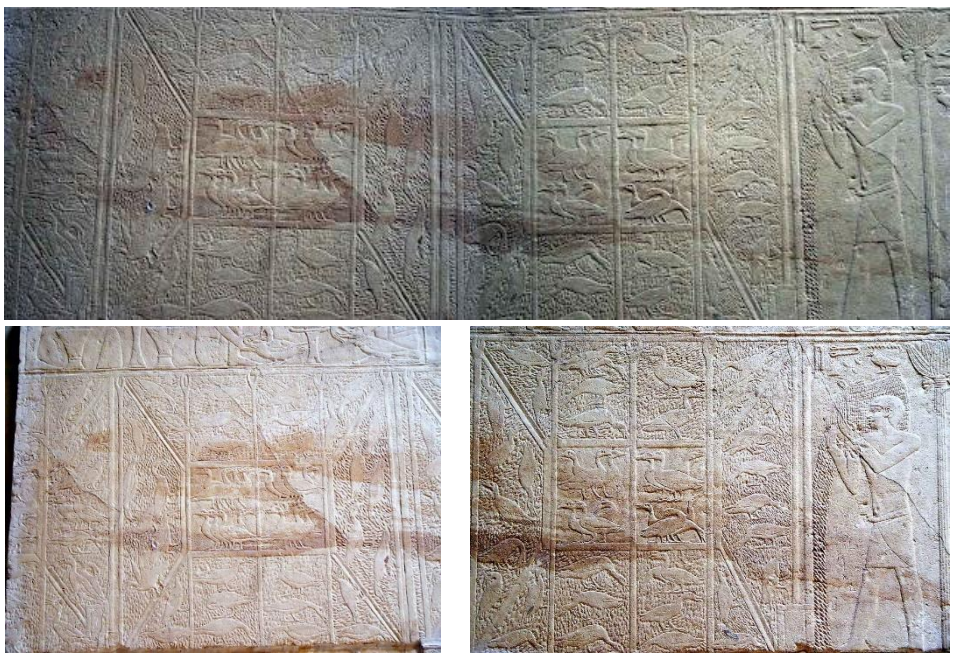

الشكل (٥) وتفصيل من مشهد تربية الدواجن، الغرفة الرابعة، الجدار الغربي، مقبرة كاجمني.
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, P. 207, fig. 14, 15, 16).

التحليل السردي للمشهد:

أسلوب السرد في هذا المشهد تزامني – متتابع ضمنًا، إذ تشير الأقفاص الثلاثة إلى حدث متكرر: تربية الطيور، وإطعامها، ورعايتها. لا يُصوّر المشهد الزمن بشكل مباشر، بل يُفهم من تغير الحالة البصرية عبر الأقفاص. من الحلول البصرية المميزة في المشهد وضع الشخصية خارج القفص، مع أن السلوك المنطقي

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يقتضي وجودها داخله؛ وهذا تجاوزٌ واقعيٌّ من أجل وضوح السرد: فالمعنى أهم من الواقعية المكانية. تشير الدلالة الطقسية إلى تمثيل طقسي مهم؛ فتربية الطيور جزء من الوفرة اليومية التي سيحصل عليها المتوفى في الحياة الأخرى، بينما تصبح الوظيفة اليومية رمزًا "للاكتفاء الأبدي".

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

يستخدم المشهد بعض التقنيات المتعلقة بإظهار العمق. ظاهريًا، يبدو المشهد في مسطحًا، لكن استخدام التكرار في الأقفاص يُوحي بالامتداد. وأيضًا، ترتيب الأقفاص من اليمين إلى اليسار يُنشئ تتابعًا في "الحيز المكاني". فالمشهد يغيب عنه المنظور الحقيقي؛ فلا وجود لخط أفق أو ظل أو منظور طبيعي؛ فالعمق هنا يُستعاض عنه بـ "التماثل والتكرار" كآليات بصرية. يُظهر المشهد أيضًا تفكيكًا للفراغ؛ فكل قفص يعمل كفراغ مستقل، مُغلق شكليًا ولكنه مفتوح دلاليًا. الشخصية في الخارج، والحدث في الداخل، مما يخلق توترًا رمزيًا يؤكد على دلالات المشهد.

أثر العمق المكاني على السرد:

السرّد في هذا المشهد يخدمه التكرار المكاني وليس العمق الحقيقي؛ فالأقفاص ليست متتالية زمنيًا، لكنها تؤدي الوظيفة السردية كمراحل داخل دورة واحدة. يُظهر المشهد مفارقة بين العمق والموقع، فخروج المزارع من "الموقع الطبيعي له" لصالح وضوح السرد، يعكس فرادة المشهد في المعالجة البصرية. علاوة على ذلك، العمق المكاني (إيهامي)، ولكنه يُستخدم كحيلة لإبراز تسلسل الفعل.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

يحمل المشهد دلالاتٍ متعددة، كالوفرة الوفرة والسيطرة. فالأقفاص رمزًا للسيطرة على الحياة الحيوانية وتحقيق الأمن الغذائي؛ والكيس رمزًا للكرم والاستمرارية. كما يُجسّد الاستقرار؛ إذ يُوحي التكرار البصري بثبات النظام ودوامه. فبالإضافة إلى توظيف الشكل الخطي للزمن؛ رغم أن الأحداث تجري في مكان واحد، يُضفي التكرار إحساسًا ضمنيًا بالزمن، يُشبه "دورة حياة الطير".

بناءً على ما سبق، يستنتج الباحثان أن مشهد تربية الطيور في مقبرة كاجمني يُظهر مزيجًا ذكيًا من الرمزية والسرّد البصري، حيث تُستخدم الحيل التشكيلية للتعويض عن غياب المنظور الواقعي. فالمشهد يُجسّد دورة الحياة اليومية بطريقة طقسية، ويُظهر كيف يُمكن للسرد التزامني – داخل مساحة تصويرية محدودة – أن

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يُنشئ عمقًا دلاليًا غنيًا، دون الحاجة لعمق منظور بصري حقيقي. في قلب هذا التوازن بين البساطة والتعقيد، نجد استراتيجية الفنان المصري في توظيف الفراغ، والتكرار، والمفارقة، كأدواتٍ فاعلة في تكثيف المعنى.

– تحليل المستوى السردي الثالث (مشهد إطعام الإوز قسرًا):

وصف المشهد:

المشهد في المستوى السردي الثالث (الشكل ٦) مُخصص لإطعام الإوز قسرًا؛ يجلس المزارعون على الأرض يُحضّرون حبيبات الطعام، بينما يقوم آخرون بإدخال الطعام قسرًا في حلق الطيور المسكينة. يحدث كل هذا تحت أنظار المشرف التي لا مفر منها. من خلال الملاحظة الدقيقة، يُمكن تمييز السلوكيات المختلفة للبط والإوز. تعرّض جزء كبير من هذا المشهد للتلف؛ حيث فُقدت بعض تفاصيل الرسم، لكن الإيماءات وحركة الأجساد لا تزال مرئية جزئيًا، مما يُتيح لنا فهم جوهر النشاط.

الشكل (٦)، مشهد إطعام الإوز قسرًا، مقبرة كاجمني. المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, fig. 13).

التحليل السردي للمشهد:

الحدث المحوري في هذا المشهد هو إطعام الطيور قسرًا، وهو فعل واقعي من أعمال تربية الطيور في مصر القديمة. جاءت البنية السرّدية لتوزيع العناصر في المشهد مجزأة؛ فالجزء الأول: تحضير الطعام (عجن أو خلط الحبوب)؛ الجزء الثاني، الإطعام القسري – وضع الطعام في حلق الطيور بالإجبار؛ الجزء الثالث، المراقبة – تجسيد السلطة من خلال وجود المشرف. لذا، يتميز أسلوب السرد بأنه تزامني ومقسّم بصريًا؛ فكل جزء من الحدث يُعرض داخل مساحة واحدة كأنها لحظة واحدة، ولكنها في الحقيقة تمثل تسلسلًا زمنيا داخليًا.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

العمق في هذا المشهد مُسطّح ولكنه دينامي؛ فلا وجود لمنظور بصري هندسي، لكن الفنان يخلق "عمقًا سلوكيًا" من خلال تباين الأفعال: (التحضير – الإطعام – المراقبة)؛ إضافةً إلى ذلك، تُضفي وضعيّات الشخصيات المختلفة (جالس، قائم، منحني، ماسك الطير...) دينامية داخلية. يُحكم المجال التصويري بالتنظيم الوظيفي؛ فالعناصر ليست موزعة عشوائيًا بل مُرتبة وظيفيًا لتسهيل القراءة السردية. علاوةً على ذلك، غياب الحواجز المعمارية أو الخلفية المكانية الواضحة، حيث يُحدد الفضاء بتفاعل الشخصيات، لا بالخطوط الأفقية أو العمق التصويري الحقيقي.

أثر العمق المكاني على السرد:

يتأثر أسلوب السرد في المشهد بالعمق المكاني، مُستبعدًا العمق لصالح الكثافة السردية. فيُقدَّم المشهد ككتلة سردية متراصّة، تُبرز كثافة العمل و"قسوة الإجراء"؛ علاوة على ذلك، لا يُسهم العمق المكاني في "الاتساع"، بل في "الضغط"، مما يعزز الشعور بـ " الإجبار والسيطرة". يُستخدم العمق أيضًا في النظرات؛ قد تُوجّه نظرة المشرف العين داخل المشهد، مما يعني أن اتجاه النظرة يُصبح خطًا سرديًا غير مرئي.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

مع أن المشهد قد يبدو قاسيًا، إلا أن المصري القديم لم يقصد منه تصوير "رحمةً" أو "عنفًا"، بل وظيفة إنتاجية ذات معنى ضمن نظامٍ من الوفرة الطقسية؛ مُبرزةً الدلالة الرمزية للمعنى الأخلاقي.وأيضًا عبّرت عملية الإطعام القسري عن سيطرة كاملة على الحيوان لأغراض غذائية واحتفالية، لا سيما في سياق الأعياد أو القرابين، مُبرزةً الدلالة الرمزية للسيطرة والهيمنة. علاوة على ذلك، يرى الباحثان أن ظهور المشرف يُذكّرنا بأن كل فعل في الحياة اليومية كان مراقبًا، وهي مُراقبةً تُعيد إنتاج السلطة في الحياة الأخرى أيضًا.

بناءً على ما سبق، يخلص الباحثان إلى أن مشهد إطعام الإوز قسرًا في مقبرة كاجمني يكشف عن سرد بصري ضاغط ومكثف، حيث استُبدلت مفاهيم العمق المكاني بالترتيب السلوكي والرمزي للشخصيات. ورغم محدودية الحيز البصري، نجح الفنان في تجسيد تسلسل معقد من الأفعال داخل بنية مسطّحة. وهنا، يتكشف أحد الحلول السردية الفريدة في الفن المصري القديم: استخدام التكرار والتباين السلوكي كبديل عن العمق الطبيعي، مما يُنتج دلالة مزدوجة عن الوفرة والسيطرة، وينقل في الوقت نفسه واقع العمل اليومي وطقسيته الرمزية في الحياة الآخرة.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

– تحليل المستوى السردي الرابع (مشهد التغذية القسرية للضباع):

وصف المشهد:

بالإضافة إلى مشاهد التغذية القسرية السابقة، يختلف المستوى السردي الرابع (الشكل ٧) اختلافًا كبيرًا، بل وأكثر خطورة. فهو يُصوّر التغذية القسرية للضباع، المعروفة باسم "تسمين الضباع". ولأن هذه الحيوانات لم تكن قابلة للتدجين، فقد تخلّى المصريون القدماء عن استغلالها منذ نهاية عصر الدولة القديمة. ومع ذلك، فإن المشاهد السرّدية المعروضة مثيرة للاهتمام. خلفية المشهد بسيطة، تفتقر إلى العمق الفراغي، لكنها منظمة أفقيًا عبر مستويات. يتضمن التكوين العام للمشهد تصويرًا لعدة عناصر في وضعيات مختلفة: على اليسار، يُجبر شخصٌ على إدخال قطع من الدواجن في فم الضبع، وظهره على الأرض، مقيدًا بمخالبه. على اليمين، يُجبر رجلان حيوانًا آخر على إطعامه قسرًا، أحدهما يُمسكه من ذيله، والآخر بحبلٍ حول رقبته. على اليمين التالي، يعمل رجلان حول حيوان مقلوب، رجلاه الخلفيتان مقيدتان، بينما رجلاه الأماميتان، اللتان يمسكهما أحدهما، غير مقيدتين. وأخيرًا، يجلس كاتب وظهره للشخصيتين الأخيرتين، يُدوّن كل شيء. يُقدّم هذا التقرير إلى كاجيمني من قبل رئيسه الذي يقف أمامه. وفي ذات السياق، يمتد الاتجاه البصري للتكوين من اليسار إلى اليمين، وينتهي بالمشهد الرسمي (التوثيق أمام كاجمني).

الشكل (٧)، مشهد التغذية القسرية للضباع، مقبرة كاجمني. (مونتاج تجميعي للصور من عمل الباحثان).
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, fig. 13).

التحليل السردي للمشهد:

أسلوب السرد في هذا المشهد تسلسلي بصري، إذ يعرض مشاهد متتالية لفعل واحد (إطعام الضباع)، ولكن في أوضاع مختلفة. يُظهر محتوى العلاقات بين العناصر صراعًا وخضوعًا واضحًا بين الإنسان والحيوان، وله وظيفة رمزية/جنائزية محتملة: ربما لدرء الشر، أو لتمثيل السيطرة على قوى برية/شريرة. أما بالنسبة لتكرار الشخصيات: الضباع تتكرر، ولكنها قد تكون مختلفة في كل مرة. لا يظهر الشخص نفسه مرارًا وتكرارًا، بل يبدو كـ "فريق عمل" متكامل يؤدي طقوسًا محددة. بشكل عام، لا تحمل الدلالات الوظيفية للمشهد وظيفة

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يومية مباشرة، بل هي على الأرجح طقسية/رمزية، ترتبط بالمعتقدات الجنائزية – مثل استرضاء الأرواح أو درء القوى الخارقة للطبيعة.

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

تكشّف العمق المكاني في مشهد التغذية القسرية للضباع من خلال استخدام الفنان للتقنيات المتعلقة بالتمثيل البصري للعمق. يكشف الفحص الدقيق للمشهد عن عدم وجود عمق واقعي، بل تنظيم أفقي خطي. أيضًا تُستخدم تقنية التراكب البسيط لخلق الإيهام بالفراغ (يد أمام جسد، قدم تُخفي جزءًا من آخر). علاوة على ذلك، لا توجد خطوط أفق واضحة أو تقسيم أمامي/خلفي حقيقي. أما بالنسبة للإيهام بالفضاء في هذا المشهد، فالفراغ هنا مسطح جدًا، مما يعكس النمط الرسمي لفن النقش المصري القديم. لذلك، فإن العمق المكاني هنا رمزي أكثر منه بصري.

أثر العمق المكاني على السرد البصري:

من خلال وضعيات الأشخاص والضباع، وتوزيعها داخل المشهد/التكوين، تتولد حركة ضمنية تعكس تدرّجًا زمنيًا داخل مساحة ساكنة. العمق هنا غير حقيقي، لكنه يُفكك المشهد سرديًا عبر تسلسل الأوضاع؛ وهو ما ينتمي إلى السرد المتزامن Synoptic Narrative حيث تتقاطع لحظات من مشهد التغذية باليد ← إلى التقييد ← إلى التوثيق؛ والنتيجة في تكوين واحد. يُسهم العمق المكاني في تعزيز هذا النوع من السرد، مما يسمح للمشاهد بمشاهدة "زمنًا بصريًا ممتدًا" في لحظة واحدة.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

على مستوى الدلالة الرمزية، لا يخدم العمق التنظيم البصري فحسب، بل يتماهى مع المعنى: الضبع حيوان رمزي مزدوج؛ ففي الميثولوجيا المصرية، هو حيوان مفترس يلتهم الجثث، وأحيانًا يُرتبط بالسحر أو بالقوة البدائية. وإطعامه قسرًا = ترويضه/السيطرة عليه ← قد يعكس قدرة المتوفى أو الكاهن على إخضاع قوى الفوضى. وفيما يتعلق بدلالة المشهد في السياق الجنائزي: يُفهم على أنه مشهد تطهير رمزي أو طقسي يسبق الحياة الأخرى. إنه يُظهر هيمنة المتوفّى الاجتماعية والدينية على العالمين البشري والحيواني. يُعزز وجود الكاتب من فكرة أن ما يحدث موثق من أجل الحساب أو الطقس الجنائزي.

بناءً على ما سبق، يخلص الباحثان إلى أن هذا المشهد يُمثل تراكبًا بين الطقس الرمزي والسرد البصري المكثف، حيث يستعرض فنانو المقبرة سلطة كاجمني ومجتمعه على "القوة الحيوانية"، من خلال سرد تصويري

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

غير واقعي زمنيًا، ولكنه فعال رمزيًا. يُبرز هذا النوع من المشاهد قيمة العمق المكاني كوسيلة تنظيمية للسرد، لا كإيهام فراغي، ويكشف عن بنية فكرية معقّدة تربط الفن بالدين والسلطة.

- **العمل الثاني: (مشهد الصيد في المستنقعات):**

وصف المشهد:

في مشهد الصيد الموضح في الشكل رقم (٨) يظهر كاجمني، الذي لم يبقَ منه سوى قدميه، واقفًا على قارب من البردي، ينزلق عبر المستنقعات الكثيفة المبطنة بأوراق البردي، التي تُمثل نباتاتها بسيقان منتصبة. من الواضح أنه يصطاد في هذه المستنقعات المبطنة بأشجار البردي. تُظهر أوضاع الشخصيات في المشهد حركات ديناميكية متنوعة: الوقوف، والقرفصاء، والجهد العضلي. يغلب على المشهد اتجاه بصري من اليمين إلى اليسار، تماشيًا مع التكوين المصري التقليدي. الخلفية خالية من العمق الفعلي، لكن التركيبات الرأسية والأفقية توحي ببيئة مفعمة بالحيوية والنشاط.

الشكل (٨)، مشهد الصيد في المستنقعات، الغرفة (١)، الجدار الغربي المواجه لمدخل المقبرة. (مونتاج تجميعي للصور من عمل الباحثان).
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, vol. (1). fig. 38, 39, 40, 41, 42).

وفي سياق الوصف يظهر كاجمني وأمامه قارب صغير، مصنوع أيضًا من أوراق البردي، يحمل ثلاثة رجال يرتدون حزامًا ضيقًا وغطاءً من القماش يسمح بحرية الحركة (الشكل ٨ – أ)، والذي كان يُستخدم عادةً كمئزر لتغطية أجسادهم وتجنب الإحراج. الرجل الموجود في الخلف، ويجلس القرفصاء على كعبيه، يوجه القارب الهش. الرجل الموجود في المنتصف يرمي خيطًا به عدة خطافات صيد (يمكن رؤية العديد من أنواع الأسماك المختلفة تقترب). في المقدمة، رجلًا جهدًا كبيرًا لرفع شبكة ثقيلة محاطة بالأسماك، ومئزره الصغير مرفوع حول كتفيه. من بين الأنواع الممثلة: سمك الشبوط، البوري، سمك الفيل، سمك السلور، البلطي. بما في ذلك أسماك الفرخ النيلي (التي لا تزال موجودة حتى اليوم)؛ وهناك أيضًا ثعابين البحر (الشكل ٨ – ب). كما نلاحظ مدى براعة الفنان في التفاصيل: على الأغصان أمام القارب مباشرةً، يُمكن رؤية ضفدع وجندب ويعسوب (الشكل ٨ – ج).

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

يمكن أيضًا رؤية بعض الحيوانات الخطيرة في هذه البيئة العدائية، حيث لا يسود النظام الذي تتطلبه "ماعت"؛ لذا هناك معركة بين التماسيح، والتماسيح التي تصطاد الأسماك (الشكل ٨ – د)، والتي حقق أحدها صيدًا كبيرًا. يُظهر التكوين بوضوح ذعر الضحايا المحتملين، الذين يفرون في جميع الاتجاهات. وبما أن هناك قراءة فورية واضحة لهذا المشهد، فمن الضروري تخيل قراءة أخري. المستنقع هو المنطقة الحدودية بين البيئة غير المنظمة (أو إسفت)، والتي تعني عند المصري القديم الفوضى والبيئة شبه المنظمة للبشر المصريين، وفقًا لإرادة الآلهة (هذه هي منطقة ماعت). أثناء صيد الحيوانات البرية، فإن هذه هي أيضًا الشياطين التي يتم اصطيادها، والتي تُمنع بالتالي من اختراق أكثر أجزاء القبر حميمية. يعتمد تكوين المشهد على بناء فراغ تصويري متعدد المستويات رغم الطبيعة المسطّحة للنقش. تظهر الشبكة المملوءة بالأسماك في الطبقة السفلية، بينما تقف قوارب الصيادين في طبقة وسطى، وتُحيط بهم نباتات البردي الممتدة إلى الأعلى.

الشكلين (٨ – أ)، و (٨ – ب) تفصيل من مشهد الصيد في المستنقعات.

الشكلين (٨ – ج)، و (٨ – د) تفصيل من مشهد الصيد في المستنقعات.

التحليل السردي للمشهد:

يُدرج هذا المشهد ضمن فئة السرد اللحظي أو المتزامن Synoptic Narrative، حيث يُجمّع عدة عناصر ضمن لحظة واحدة، دون تتابع زمني. فالصيادون يمارسون الفعل نفسه (الصيد)، الأسماك تظهر داخل الشبكة بكثافة، والطيور تحوم حول المكان. لكن لا وجود لتكرار الشخصية، ولا لتقسيم الحدث إلى

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

مراحل، مما يؤكد ثبات الزمن داخل المشهد. يُظهر محتوى العلاقات بين العناصر تعاون بشري بين الصيادين، وتناغم وظيفي. وصراع طبيعي بين التماسيح والأسماك – طيور تفر – حالة من التوتر الحيوي. والمشهد لا يُمثّل مجرد نشاط يومي، بل طقس رمزي يدل على السيطرة على الفوضى (إسفت)، وإعادة النظام (ماعت).

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

في هذا المشهد، استخدم الفنان أساليب بديلة للتعبير عن العمق، بما في ذلك التقسيم الطبقي الرأسي. حيث ينقسم المشهد إلى ثلاثة مستويات أفقية: العلوي: الطيور والبردي؛ الأوسط: كاجمني والقوارب والصيادون؛ السفلي: المياه والأسماك. وهذا يُنشئ "فراغًا رمزيًا" يُوحِي بالامتداد الرأسي للعالم الطبيعي. علاوة على ذلك، استخدم الفنان التراكب البصري Overlapping؛ حيث توضع بعض العناصر أمام بعضها البعض (القوارب أمام البردي، والشبكة فوق الماء، والأسماك تحت الماء، والطيور فوق النباتات)، مما يُوحي بعمق وهمي داخل سطح مستوٍ. بالإضافة لذلك، تحقق تكرار العناصر والأحجام المتباينة من خلال استخدام التكثيف البصري Visual Stacking للإشارة إلى الامتلاء والوفرة والامتداد؛ حيث يشير تكرار الأسماك والطيور ذات الأحجام المختلفة إلى المسافة والبعد. كما استخدام الفنان ببراعة الحجم النسبي؛ فالأشكال الأصغر حجمًا توحي ببعدها عن كاجمني، الشخصية المركزية الأكبر حجمًا؛ (كاجمني أكبر من الأشكال الأخرى، والأسماك ذات أحجام متفاوتة – مما يمثل عمقًا بصريًا رمزيًا).

أثر العمق المكاني على السرد البصري:

العمق هو الآلية التي تُفكك المشهد إلى طبقات سردية، مُنشئةً نظامًا سرديًا بصريًا، إذ يسمح للعين بالانتقال من ما يحدث ف الأسفل/القاع (لحظة الاصطياد: الماء والأسماك)، إلى الوسط (الفعل البشري: الصيادون)، ثم إلى الأعلى/القمة (الطبيعة المراقِبة: النباتات والسماء)، مُشابهًا بذلك بنية الحكاية المصورة. جميع اللحظات لحظات تحدث في آنٍ واحد، لكنها مُرتبة بصريًا بطريقة تُوحي بالزمن والترتيب. يُساعد العمق هنا على بناء سرد مُتداخل: لا يوجد خط زمني واضح، بل تتكرر الأفعال في طبقات مُتزامنة، كما لو أن المشهد يُجسّد حالةً دائمةً لا لحظةً واحدة. إذًا، السرد ليس خطيًا، بل (دائري – متكرر – طقسي)، والعمق المكاني هو أداته البنيوية. فهو يُجمّد الزمن في صورة واحدة تحتفظ بجميع طبقات المعنى، ويُتيح العمق بتراكم الأفعال دون تكرار الشخصيات، مُدعمًا الوظيفة الطقسية للمشهد كصورة أبدية. هنا، لا يتسم العمق المكاني بالطابع الهندسي بقدر ما هو رمزي وبنيوي: تُشكّل النباتات خلفية عمودية كثيفة، مما يُضفي شعورًا بالازدحام

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

الطبيعي؛ ويوجّه تراكب العناصر (القارب، السمك، الطيور) النظر بشكل تدريجيًا: من الأعلى إلى الأسفل. كما يُبرز مفهوم السيطرة: يقف كاجمني على سطح الماء، مُسيطرًا بصريًا وجسديًا على محيطه.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

حمل هذا المشهد دلالاتٍ رمزية عميقة ارتبطت بعقيدة الحياة والموت والبعث. يُمثّل "الصيد" السيطرة على الطبيعة المتغيرة (الماء والسمك والحياة)؛ وهو فعل كوني يرمز إلى تنظيم الفوضى (إسفت) من خلال الصيد المنظّم، مما يوفر للمتوفى الوفرة والرزق في العالم الآخر. هنا، لا يُعد العمق مجرد بنية تشكيلية، بل أداة لاستحضار المعنى الغائب من خلال: الطبيعة المنظَّمة مقابل الفوضى، والتي تمثلها المستنقعات كمجال للسيطرة الطقسية؛ والامتداد الرأسي الذي يشير إلى النظام الكوني في المعتقد المصري القديم: السماء (الطيور) – الأرض (الإنسان) – الماء (البعث والتجدد). بالإضافة لذلك، تراكب العناصر يجعل من كاجمني مركزًا يتحكم في العوالم الثلاثة، ويُفعّل رمزيًا سيطرته على قوى الطبيعة. ترمز شبكة الصيد إلى القدرة على "أسر القوى غير المرئية"، وهي قراءة طقسية تُحوّل الفعل اليومي إلى شعيرة أبدية (Teeter, 2011, p. 118). علاوة على ذلك، يُوحي الفراغ بين الطبقات بمساحات غير مرئية، تفصل الحياة عن الموت، والمرئي عن غير المرئي، والحسي عن المقدّس. وهكذا، يُعيد العمق المكاني صياغة الواقع من منظور ميتافيزيقي وعقائدي: فهو يكشف عن القوة الطقسية للمتوفى، ويؤكد سلطته الرمزية وهيمنته على النظام الكوني.

بناءً على ما سبق، يخلص الباحثان إلى أن مشهد "الصيد" استخدم العمق المكاني كآلية لتركيب سرد غير خطي داخل فضاء موحّد، حيث تُنظَّم فيه العناصر ودلالاتها وفق بنية رمزية تعكس مبدأ السيطرة على الفوضى الطبيعية، وترتقي بالنشاط اليومي إلى طقس أبدي يدعم استمرار المتوفى في العالم الآخر. هكذا، يندمج العمق المكاني، والسرد البصري، والدلالة الرمزية في بنية متماسكة تُعيد صياغة الواقع من منظور أيديولوجي غير مرئي.

- **العمل الثالث: (مشهد رعاية الحيوانات – "الحلب"):**

وصف المشهد:

يمثل المشهد في (الشكل ٩)، أحد أبرز المقاطع السردية على الجدار الغربي للمقبرة، مُصوَّرًا كاجمني في ذروة بطولته على هذا الجدار، في مشهد رعوي يُصوِّر تربية ورعاية القطعان. يُمكن تمييز مستويين من

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

السرّد. في المستوى السردي الأول، يَعبُر قطيع من الماشية مَخَاضَة نَّهر. بينما يدفع فلاحٌ جالس في قاربٍ القطيعَ بأكمله للعبور، جاذبًا الأمَّ بعجلٍ صغير يُمسكه بساقه الأمامية وحبل. يحاول العجل السباحة، ويُدير رأسه نحو أمه، ويُصدر صوتًا. يجذب هذا الأمَّ والقطيعَ بأكمله (الشكل ٩ – أ). في مؤخرة القطيع، يرفع الراعي عصاه لدفعَ آخرَ الثيران المترددة إلى الأمام. خلفه، يَعبُر رجل المخاضة حاملاً عجلًا صغيرًا جدًا على ظهره، والذي لا يبدو سعيدًا (الشكل ٩ — ب). عبور مَخَاضَة النَّهَر محفوفٌ بالمخاطر، ليس فقط للحيوانات، بل أيضًا للبشر. فإلى جانب الأسماك، هناك التماسيح وأفراس النهر التي يجب الحذر منها.

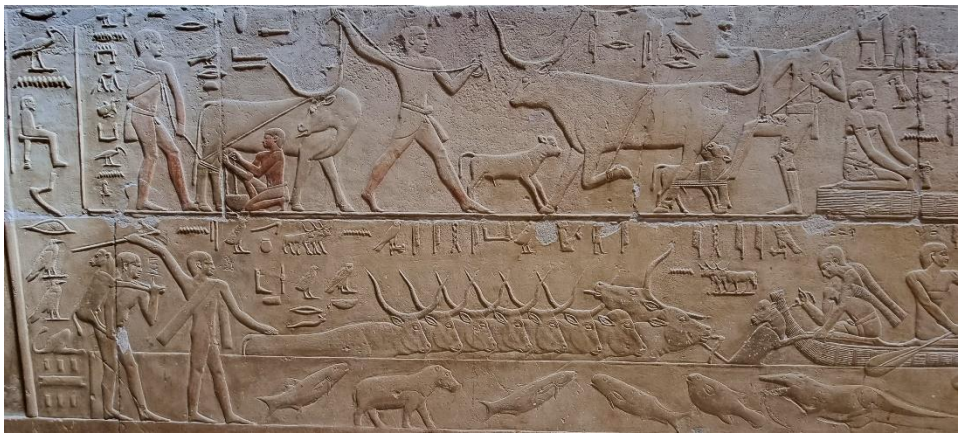

الشكل (٩) مشهد رعاية الحيوانات، الغرفة (٣)، الجدار الغربي من مقبرة كاجمني.
المصدر: (Harpur & Scremin, 2006, fig. 92. P.493).

في المستوى السردي الثاني، يُشرف الخدم على حلب الأبقار، المربوطة لمنع الحيوانات من الحركة، وللمساعدة في إبعاد العجول غير المفطومة، التي يبدو أنها تسعى للرضاعة من أمهاتها. على اليمين، يجلس رجلان وجهًا لوجه على حصيرة نباتية سميكة، يصنعان حزمًا من سيقان البردي. على الرغم من صعوبة فهم طبيعة الأدوات التي يحملونها بأيديهم، إلا أن الفعل لا جدال فيه لأن الكتابة الهيروغليفية للمشهد هي "قني"، وتعني حزمة حطب أو رُزمة الحطب (الشكل ٩ – هـ). خادم آخر، جالس في سلة غريبة، يفطم خنزيرًا صغيرًا، يبدو أنه يتقيأ الحليب في فمه (الشكل ٩ — و). تجدر الإشارة إلى أن الخنزير، المعروف من الحفريات أنه محفوظ بوفرة، نادرًا ما يُصوَّر في المقابر، وربما يُعتبر حيوانًا نجسًا. علاوة على ذلك، سيصبح لاحقًا حيوانًا مرتبطًا بالإله ست.

المجـلة العلمـــية للتربيـــة النوعيـــة والعـلوم التطبيقـــية

The Scientific Journal of Specific Education and Applied Sciences

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

الشكلين (٩ – أ)، و(٩ – ب) تفصيل من شكل (٩) مشهد رعاية الحيوانات، مقبرة كاجمني.

الشكلين (٩ – ج)، و(٩ – ب) تفصيل من شكل (٩) مشهد رعاية الحيوانات، مقبرة كاجمني.

الشكلين (٩ – هـ)، و(٩ – و) تفصيل من شكل (٩) مشهد رعاية الحيوانات، مقبرة كاجمني.

التحليل السردي للمشهد:

من حيث البناء السردي، يعتمد المشهد على تقنية "السرد المتزامن" Simultaneous Narrative، إذ يصوّر عدة أفعال في لحظة واحدة دون اتباع تسلسل زمني. فالراعي الذي يحلب، والعجل الذي يرضع، والعامل الذي يجمع الحزم، كلهم يُعرضون في آنٍ واحد ضمن وحدة سردية بصرية دون أي تعاقب زمني، مما يُضفي على المشهد طابعًا حيًّا ومتماسكًا. لا يعتمد الفنان المصري القديم هنا على تكرار الشخصية كما في بعض المشاهد السردية الأخرى، بل يلجأ إلى التنويع في الفعل والموقع داخل التكوين لإبراز

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

تعددية المهام اليومية المرتبطة بالحياة الزراعية. هذا يعني أنه يُقدم كل فعل على أنه جزء من وحدة سردية واحدة، تُمثّل "لحظة ممتدة" تجتمع فيها وظائف متوازية.

العمق المكاني ومعالجته البصرية:

العمق المكاني في هذا المشهد تمت مُعالجته بأساليب تشكيلية رمزية تتجاوز المنظور الواقعي. يعتمد الفنان على التكثيف الرأسي –ترتيب العناصر من الأسفل إلى الأعلى – لإعطاء إيحاء بالامتداد في الفراغ. رُتبت الأبقار والرعاة في مستويات، بدءًا من الأسفل إلى الأعلى، لتوحي بتتابع في الحيز المكاني دون استخدام المنظور الهندسي التقليدي (Robins, 2008, pp. 36–38). كما يُظهر التراكب البصري للأشكال، كوجود القطيع أمام بعضها البعض، والرعاة خلفها، بعض الأبقار رُسمت متداخلة، ظهور العجل الصغير خلف أمه. كل هذا يخلق بُعدًا شعوريًا وجسديًا في آن واحد، ويُضيف طبقات معنوية إلى البنية البصرية (Dodson, 2016, p. 112)، مما يُوحي بتسلسل طبقي دون اللجوء إلى المنظور الخطي أو نقطة التلاشي. ورغم غياب الخلفية الواقعية، فإن وجود عناصر طبيعية كالبردي والمياه يُثري الإيحاء بالمكان، ويُضفي على المشهد طابعًا بيئيًا محددًا يشير إلى ضفاف النهر أو قناة ري.

أثر العمق المكاني على السرد البصري:

تنعكس المعالجة المكانية على البنية السردية، إذ تُقسَّم اللوحة بصريًا إلى طبقات سردية مترابطة ضمن المشهد نفسه: طبقة أمامية تُصوّر مشهد الحلب بوصفه النشاط المركزي، وطبقة وسطى تُصوّر الحركة الديناميكية لعبور القطيع/المواشي، وطبقة خلفية تُصوّر مشاهد الفطام وجمع الحزم (المهام الجانبية). هذه الطبقات لا تُعبر عن تتابع زمني، بل عن تدرّج في الأهمية الرمزية للسلوكيات، حيث يُعد الحلب رمزًا للغذاء والوفرة، والعبور رمزًا للحركة والتحول، والفطام رمزًا للاستقلال والاستمرارية. لقد ساعد العمق المكاني في تنظيم هذا السرد، حيث يُوَجَّه نظر المشاهد تلقائيًا من الفعل الرئيسي في المقدمة إلى الفعاليات الداعمة في الخلفية، مما يُنتج سردًا بصريًا غنيًا بالحركة. علاوة على ذلك، يتداخل الجانب الحسي (كالعجل الباحث عن أمه) مع التنظيم المكاني، فينتج **سردًا وجدانيًا** يتجاوز مجرد التوثيق.

أثر العمق المكاني على الدلالة الرمزية:

رمزيًا، يتجاوز المشهد بعده التوثيقي ليُعبّر عن مضامين عقائدية أعمق. فالحلب لا يرمز إلى توفير الغذاء فحسب، بل يُشير إلى استمرارية العطاء في العالم الآخر، بوصفه ضمانًا لبقاء روح المتوفى في رفاهية

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

(Assmann, 2005, pp. 202–203). أما مشهد العجل الصغير الذي يبحث عن أمه في إيماءة بصرية تشي بالعاطفة والدفء، هو صورة رمزية تُعبر عن العلاقة الحميمة بين الكائنات، وتُجسّد العلاقة بين الابن ووالديه. وقد يُقرأ كتجسيد رمزي لحنو المتوفى تجاه عائلته، أو ارتباطه بالحياة، أو تعلّق الأحياء بالمتوفى (Wilkinson, 2003, p. 109). ويكتسب مشهد المخاضة (العبور) دلالة إضافية، إذ يُشير إلى اختبار أو عبور طقسي من عالم إلى آخر، لا سيما مع وجود أفراس النهر والتماسيح، التي قد تُمثّل مخاطر رمزية في الميثولوجيا المصرية. ومن الجدير بالملاحظة أيضًا، ظهور خنزير صغير في المشهد، وهو عنصر نادر قد يرتبط بدلالات دينية سلبية أو رمزية غامضة، خاصة أنه يرتبط بالإله ست في بعض السياقات.

بناءً على ما سبق، يخلص الباحثان إلى أن مشهد رعاية الحيوانات في مقبرة كاجمني يمثّل نموذجًا مركّبًا يجمع بين التوثيق الدقيق للحياة اليومية وبين المعنى الرمزي العميق في سياق المعتقد الجنائزي. ورغم التزام الفنان المصري القديم بالقواعد الشكلية التقليدية، إلا أنه تجاوزها بإدخال عناصر وجدانية وتعبيرية، مثل حركة العجل أو نظرات الحيوان، مما يجعل المشهد يحمل سردًا وجدانيًا يمزج بين الرمز والواقع. فالعمق المكاني هنا ليس هندسيًا، بل سردي–رمزي، يدفع بالنظر من الفعل الأهم إلى التفاصيل الداعمة، ويمنح كل طبقة من اللوحة وظيفة سردية ودلالية متكاملة.

نتائج البحث:

١. تم توظيف العمق المكاني في نقوش مقبرة كاجمني بسقارة كأداة بنائية وسردية، حيث وظّف لتوجيه المعنى وتنظيم السرد، من خلال التراكب البصري، والحجم النسبي، وترتيب الشخصيات داخل مستويات متباينة.

٢. تم توظيف العمق المكاني ليس فقط كعنصر بصري، بل كأداة تعبيرية تحمل دلالات رمزية، فقد كشفت المشاهد أن تمثيل العمق يرتبط بالمكانة الاجتماعية والوظيفة العقائدية لكل عنصر بصري فلا يُعبّر الحجم أو الموقع عن البُعد المكاني، بل عن القيم الرمزية، في توازن دقيق بين المشاهدة الواقعية والتأويل الجنائزي.

٣. تعكس بعض مشاهد – رغم واقعيتها الظاهرية – بُعدًا غير مرئي يتجلى في رمزية الأوضاع الجسدية والشخوص، مثل تماثل الحركات في مشاهد الصيد أو تقديم القرابين، مما يُوحي بفكرة الاستمرارية الزمنية والتكرار الأبدي للحياة في العالم الآخر.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

٤. ساهم تنظيم الشخصيات والكائنات داخل مستويات أفقية وطبقية في إنتاج سرد بصري مركب، حيث تُسرد اللحظة الزمنية ضمن تسلسل رمزي – لا زمني – يربط بين الفعل (كالصيد، الحلب) والمعنى (كالوفرة، السيطرة، الطقس الجنائزي).

٥. كشفت البنية المكانية للمشاهد عن انعكاس الهوية البصرية والاجتماعية للمتوفى: فقد ظهرت المكانة المرموقة لكاجمني من خلال تكرار شخصه، محوره البصري، وإشرافه على الكائنات الأخرى، تؤكد مركزية "الذات الاجتماعية" داخل السياق الجنائزي.

توصيات البحث:

١. الاهتمام بدراسة البنية الفراغية للنقوش الجدارية في مقابر الدولة القديمة بوصفها مدخلًا لفهم الفكر البصري والديني لدى الفنان المصري القديم، وليس فقط كعنصر زخرفي.
٢. دمج مفاهيم السرد البصري والعمق المكاني في مناهج تدريس تاريخ الفن القديم، بما يسهم في تنمية القدرة على قراءة وتحليل الأعمال الفنية في ضوء سياقاتها الاجتماعية والدينية.
٣. تشجيع الدراسات المقارنة بين نقوش مقابر النخبة في الدولة القديمة (مثل كاجمني، مريروكا، وبتاح حتب) للوقوف على تطور تقنيات تمثيل العمق ودلالاته عبر العصور.
٤. الاستفادة من الرؤية الرمزية في النقوش في إثراء المداخل التربوية المرتبطة بتعليم الفنون، خاصة من خلال إبراز العلاقة بين الشكل والمضمون في الفن المصري القديم.
٥. تطوير أدوات تفاعلية رقمية (مثل الواقع الافتراضي والواقع المعزز) لعرض مقابر مثل كاجمني بأسلوب يُظهر العمق المكاني والسرد البصري كما أراده الفنان، بما يخدم قطاعي المتاحف والتعليم.
٦. دمج مفاهيم العمق السردي في التعليم الفني والأثري: يُوصى بتحديث مناهج تدريس تاريخ الفن المصري القديم لتشمل تحليل العمق المكاني كمكون سردي ورمزي، وتعزيز القراءة النقدية للنقوش من منظور دلالي.

مراجع البحث:

1. Abd El Salam, S. (2011). Different Methods of Analysis for the Identification of Materials Dated to Different Periods in Egypt. *Journal of Physical Science and Application, 1*, 85-99.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

2. Arnheim, R. (2004). *Art and visual perception: A psychology of the creative eye* (2ed.). Fiftieth Anniversary Printing. Berkeley: University of California Press.
3. Assmann, J. (2005). *Death and salvation in ancient Egypt*. Cornell University Press.
4. Brovarski, E. (2008), A Second Style in Egyptian Relief of the Old Kingdom. in S.E. Thompson and P. Der Manuelian (eds.). *Egypt and beyond*. Essays Presented to Leonard H. Lesko upon his Retirement from the Wilbour Chair of Egyptology at Brown University June 2005, 48–89. Providence, RI.
5. David, R. (2003). *Handbook to Life in Ancient Egypt*. Revised ed. New York: Facts On File.
6. Dodson, A., & Hilton, D. (2004). *The complete royal families of ancient Egypt*. Thames & Hudson.
7. Dodson, A., & Ikram, S. (2008). *The Tomb in Ancient Egypt.* London: Thames and Hudson.
8. Dodson, A. (2016). Tombs in Ancient Egypt. In *Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures* (pp. 4282-4292). Springer, Dordrecht.
9. Dehejia, V. (1990). On modes of visual narration in early Buddhist art. *The art bulletin*, 72(3), 374-392. http://www.jstor.org/stable/3045747 .
10. Elkins, J. (1996). *The poetics of perspective*. Ithaca: Cornell University Press.
11. Harpur, Y., Scremin, P. (2006). *The chapel of Kagemni: scene details*. Oxford: Oxford Expedition to Egypt.
12. Kanawati, N. (2002). *Conspiracies in the Egyptian palace: Unis to Pepy I*. London: Routledge.
13. Kanawati, N., Abd El-Raziq, M. (2000). *Teti Cemetery at Saqqara Vol 6: The Tomb of Nikauisesi.* Sydney: Australian Centre for Egyptology.

Print ISSN: 2682-3101 Online ISSN: 2682-311X

14. Kanawati, N. (2001). *The tomb and beyond: Burial customs of ancient Egypt*. Aris & Phillips.
15. Kagemni. (n. d.). Tomb of Kagemni, Saqqara. In Wikipedia: the free encyclopedia. [cited 14 June 2025]. https://en.wikipedia.org/wiki/Kagemni.
16. Petersen, R. (2010). *Early Visual Literacy*. History of Graphic Novels EIU4171G Class. Eastern Illinois University, Charleston, IL.
17. Robins, G. (2008). *The art of ancient Egypt*. Cambridge: Harvard University Press.
18. Teeter, E. (2011). *Religion and ritual in ancient Egypt*. Cambridge University Press.
19. Van Walsem, R. (2005). *Iconography of Old Kingdom Elite Tombs: Analysis & Interpretation, Theoretical and Methodological Aspects*. (Vol. 35). Belgium: Peeters Publishers Leuven.
20. Van Walsem, R. (2020). biconographies" versus (auto-) biographies in Old Kingdom elite tombs: Complexity expansion of image and word reflecting personality traits by competitive individuality. *Ancient Egyptian Biographies: Contexts, Forms, Functions. Edited by Julie Stauder-Porchet, Elizabeth Frood and Andréas Stauder. Atlanta: Lockwood*, 117-59.
21. Wilkinson, R. H. (2003). *The complete gods and goddesses of ancient Egypt*. Thames & Hudson.
22. Wilkinson, R. H. (2016). *Symbolic Aspects of Royal Tombs*. In The Oxford Handbook of the Valley of the Kings. Oxford University Press.